ليبيا القديمة (الأرض والسكان)

أ. إمحمد علي مرفوعة ـ كلية الآداب الأصابعة ـ جامعة غريان

مقدمـــــــــــــة :

يتناول هذا البحث ليبيا القديمة ، حسب ما وردت في المصادر الكلاسيكية ، وقد قسم البحث إلى أربعة محاور، كان الأول بعنوان اسم ليبيا و دلالته ، وقد وجدت من المهم أن أمهد بتخصيص هذا المحور للحديث عن اسم ليبيا ولو بشكل مختصر، والتعريف بماهية هذا الاسم واستعمالاته عبر الفترات التاريخية ، إما بوصفه اسما لجماعة ، بشرية ، أو اسما لإقليم جغرافي ، أو اسما لقارة ، وكذلك التعريف بأهم المعالم الجغرافية في ليبيا القديمة ، أما المحور الثاني فقد تولى التعريف بأهم المعالم الجغرافية الطبيعية (التضاريس) والمناخ، و يتناول المحور الرابع سكان هذه المنطقة ، وهم القبائل الليبية القديمة من حيث أماكن إقامتها وعاداتها و تقاليدها حسب ما ورد في المصادر، و قد تم الاعتماد في كتابة هذا البحث على المصادر الكلاسيكية ، كتاريخ هيرودوت الكتاب الرابع والمعروف بالكتاب الليبي ، و جغرافية إسترابون الكتاب السابع عشر، والخاص بوصف ليبيا ومصر، مع مجموعة من المراجع العربية و الأجنبية ، و في نهاية البحث قائمة بأسماء المصادر و المراجع ، و المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج السردي ، الذي تم توظيفه في المنهج التحليلي ، القائم على تحليل و تفسير الحقائق التاريخية ، بما يتمشى ومتطلبات البحث العلمي ليظهر البحث بصورة جيدة .

اســـــــم ليبيا ودلالتـــــــــه:

ورد اسم ليبيا على ألســـــنة كثير من الشعوب والأجناس من الذين وصلوا إلى أرض ليبيا عبر العصور التاريخية المختلفة ، وقد كانت الكلمة تدل على عدة معانٍ تعددت بتعدد تلك الشعوب والأجناس، فقد ورد اسم ليبيا عند المصريين القدماء كاسم لقبيلة ليبية قديمة كانت تجاورهم إلى الغرب من وادي النيل تدعى (الليبو) أو (الريبو) وقد احتكت هذه القبيلة بالمصريين وجرت بينها وبينهم عدة حروب، وأول إشارة لهذه القبيلة وردت في عهد الفرعون (مرنتباح) حوالى عام (1220ق.م) حيث وردت في نقش هيروغليفي يمجد انتصار ذلك الفرعون على (الليبو) الذين قدموا لغزو مصر من

الغرب[1]، كما ورد اسم ليبيا عند العبرانيين في مواضع عدة من أسفار العهد القديم فجاء في سفر دانيال على شكل (لوبيم) وفي سفر التكوين علي شكل (الهابيم).

ويمكن أن يكون هذا الاسم قد وصل إلى كتاب التــوراة عن طريق اللغة (الهيروغليفية) نظرا لوروده مع أسماء أخرى مثل : مصر والأثيوب[2]، أما المصادر الفينيقية القرطاجية فلم يصل إلينا منها شيء، ولعل تدمير قرطاجة وإحراقها على يد الرومان؛ وعلى ذلك النحو القاسي قد ذهب بوثائق تلك المدينة، ولم يسعفنا في هذا الموضوع سوى بعض النقوش التي عثر عليها حديثا في بعض مناطق تونس وطرابلس، وهي تحتوي إشارات إلى اسم ليبيا وردت على شكل (لوبي) و(لبيت)، وكان يقصد بهذا الاسم على ما يبدو السكان وليس الإقليم الجغرافي، كما أن اسم مدينة لبدة الذي كتب باللغة الفينيقية على شكل (لبكي) كان يحمل نفس الجذر الذي يتكون منه اسم ليبيا واللليبيين[3].

ولم يرد اسم ليبيا كمدلول جغرافي صريح إلا عند الإغريق ؛ وقد أورده الشاعر هوميروس في ملحمته الأوديسا ؛ وأشار إليها في العديد من الواضع في تلك الملحمة، ففي الفقرة الخامسة والثمانين من الفصل الرابع نجد (مينلاوس) وهو أحد أبطال الملحمة يعدد (لتيليماخوس) عدد البلدان الي زارها، ويذكر أنه بعد زيارته لعدد من البلدان أنه توجه إلى ليبيا التي (تلد النعاج فيها ثلاث مرات في السنة) كما ذكر اسم ليبيا في الفقرة السابعة من الفصل العاشرعندما أشار إلى أكلة اللوتس، ومن المعروف أن أكلة اللوتس هم أحد القبائل الليبية التي كانت تسكن المنطقة الغربية من ليبيا، ومع ورود الاسم عند هوميروس إلا أنه لا يعطي معلومات جغرافية ولم يحدد موقعها الجغرافي، وحتى عند حديثه عن اللليبيين اللوتوفاجة فإنه لم يقدم شيئا عنهم سوى أنهم قوما يعيشون على ثمار شجرة اللوتس ويستخرجون منها شراب من يتذوق هذا الشراب أو يأكل ثمار هذه الشجرة ينسى وطنه ولا يرغب في العودة إليه[4] ؛ فهو ذكر الاسم دون إعطاء أية معلومات جغرافية تساعدنا على تحديد المكان في الشرق أم في الغرب، وعلى الرغم من أنه يجهل أو يتجاهل مكان ليبيا فهي لا يمكن أن تكون مجهولة لديه ؛ وهو لا بد أن يكون قد علم بأمرها ٠ خصوصا حين يقول :- "ليبيا التي تلد فيها النعاج ثلاث مرات.....إلخ "، وربما كان قصده من إخفاء معرفته بها الإبقاء على روح المغامرة في روايته[5].

وإذا انتقلنا إلى هيرودوت نجد أنه تحدث عنها أسطوريا، لكنه يعود ويتحدث عنها جغرافيا، ويمكن الاستنتاج من روايته الأسطورية عن أهل جزيرة ثيرا، ومن خلال

التفاصيل التي أوردها بأنه كان المقصود بليبيا هي تلك المنطقة التي تقع على الساحل الشمالي، وهي المنطقة التي تقابل جزيرة كريت مباشرة[6].

وذكر هيرودوت بأن ليبيا تمتد من حيث تنتهي مصر إلى رأس سولوجوس على المحيط الأطلسي الذي هو نهاية ليبيا، وتسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده عدا الجزء الواقع في يد الإغريق والفينيقيين كما أنه يوجد في الداخل إقليم مليء بالوحوش الضارية، وإلى ما وراء هذا الإقليم صحراء رملية لا نبات فيها ولا ماء[7]؛ وورد اسم ليبيا لدى هيرودوت في كتابه الرابع في الفقرتين الثانية والأربعين والثالثة والأربعين على أنها قارة من قارات العالم الثلاث، وذكر أن العالم في عصره يتكون من ثلاث قارات هي ليبيا وآسيا و أوروبا[8].

ويمكن الوصول إلى أن كلمة ليبيا كانت معروفة منذ أقدم العصور حيث وردت عند المصريين وأطلقوها على القبائل التي تقع مواطنها إلى الغرب من مصر، ومنها قبائل (الريبو) وعندما جاء الإغريق إلى شمال إفريقيا أطلقوا الاسم على كل المناطق التي كانت تحيط بالمدن الخمس، إلا أنهم ما لبثوا أن توسعوا في استخدام هذا الاسم توسعا كبيرا وأطلقوه على كل المناطق التي عرفوها في شمال إفريقيا، ما بين نهر النيل في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب، حتى أن هيرودوت قسم العالم المعروف في عصره إلى ثلاث قارات هي أسيا وأوروبا وليبيا ٠

أما كلمة أفريقيا فلم يبدأ استخدامها إلا في النصف الثاني من القرن الثاني قبل الميلاد من قبل الرومان، حيث أطلقوا كلمة (أفريكا) على المناطق الخاضعة لهم ويبدو أن هذا الاسم اشتق من اسم إحدى القبائل الليبية وهي قبيلة (أفرى) التي كانت تسكن تونس الحالية، وكل ما هناك هو أن الرومان حرفوا هذا الاسم وجعلوه (أفريكا) واستخدموه للدلالة على نفس الأقاليم التي كانت تشملها قارة ليبيا[9].

حدود ليبيا القديمة:

يشكل البحر المتوسط الحد الشمالي لليبيا القديمة، ويتميز هذا البحر بسهولة الإبحار فيه نظرا لهدوئه، وتتمتع ليبيا القديمة بسواحل طويلة على البحر الأبيض المتوسط، وهو ما شجع على التواصل الحضاري والتجاري بين الشعوب المطلة عليه[10] .

وقد أسست على سواحله وبالقرب من مصبات الأنهار والوديان المدن القديمة مثل أوتيكا UTICA التي شيدت على الخليج القرطاجي بالقرب من نهر بجرداس[11] BAGRADS أما مدينة لبدة الكبرى فكانت بالقرب من مصب نهر كنيبس[12] CINYPS ؛ كما تم تأسيس مدينة هيبو ديار يتوس HIPPO DIARR

HYTUS بنزرت الحالية وكان لها مرفأ كبير على بحيرة بنزرت، وأسس الفينيقيون مدينة ليكسوس[13] LIXUS، على سواحل المحيط الأطلسي حيث امتدت نشاطاتهم إلى هناك، ونظرا لقرب الجبال من الشواطئ ووجود النتوءات الصخرية كادت هذه الشواطئ أن تفقد أهميتها، وتشير المصادر القديمة إلى الأخطار التي تواجه البحارة على سواحل ما بين السرتين؛ والناتجة عن المياه الضحلة في بعض الأماكن وعدم وجود أماكن صالحة لرسو السفن خصوصا خلال فترة المد والجزر، حيث تصطدم سفنهم بالضحضاح، ونادرا ما تخرج المراكب سالمة، ولذلك هم يحرصون على الإبحار بعيدا عن الشاطئ، ويذكر إسترابون STRABON أن ميلهم للمخاطرة هو الذي دفعهم للإبحار قرب الشاطئ[14] وهو ما يعرضهم لكثير من الأخطار .

أما من ناحية الجنوب فيقول هيرودوت في كتابه الثاني : " أما جنوبي البحر والمنطقة التي يغشاها أهل الساحل ؛ فإنه يوجد في ليبيا إقليم ملئ بالوحوش الضارية، وإلى ما وراء هذا الإقليم إلى الداخل صحراء رملية لا نبات فيها ولا ماء "[15]، ويقول في كتابه الرابع "إنه يستطيع أن يعدد أسماء جميع الأقوام الذين يقطنون على الشريط الرملي حتى مواطن الأطلنتس وليس أبعد من ذلك، وإني الذي أعرفه أن الشريط الرملي يصل أعمدة هرقل وما بعدها"[16] ومعنى هذا أن الصحراء الكبرى وهي تمتد من طيبة في مصر حتى أعمدة هرقل تشكل نطاقا كبيرا يتمثل في أشرطة على شكل أقواس وكثبان كبرى من الرمال، ومن أهم هذه الكثبان العرق الشرقي الذي يوجد جنوب نوميديا والممتد حتى يكاد يصل البحر الأبيض المتوسط، وتنحدر إليه بعض المرتفعات مثل جبل نفوسة على حدود منطقة الأمبوريا وينتهي في الشرق إلى منطقة عارية من النبات تماما وهي أراضي مستوية من الصخور حمراء اللون تعرف باسم الحمادة الحمراء[17] تكوّن الأجزاء الخلفية لمنطقة المدن الثلاث .

وكثيرا ما كانت الصحراء بمثابة حاجز يحمي أبناء البلد من استعمار أجنبي ؛ أو توسع استيطاني، وغالبا ما كانت تشكل الملاذ الآمن لأبناء البلد باعتبارها حصنا منيعا يحتمون به من أعدائهم، وكثيرا ما يتخذونها قواعد لمهاجمتهم وإلحاق الهزائم بهم، وقد بقيت الصحراء في مأمن من الاحتلال الروماني فترة طويلة من الزمن؛ لأنهم ليسوا أمة صحراوية تتحمل مشاقها أولا وثانيا لجهلهم بها ؛ وبالتالي لم يغرروا بأنفسهم[18] ؛ في تلك الغياهب المجهولة وفي الفترات التاريخية اللاحقة ظهرت أهميتها الاقتصادية كمصدر من مصادر الحصول على الفيلة والحيوانات المفترسة التي تستخدم عادة في المصارعة على المسارح الدائرية الرومانية[19]، ومصدر من مصادر العقيق الأحمر

وغيرها من السلع، كما أنها أصبحت ملاذا ومركزا يقصده كل من يشق عصا الطاعة ضد روما[20].

المظاهر الطبيعية لليبيا القديمة:

تعد سلسلة جبال أطلس من أهـــــم المظاهر الطبيعية في ليبيا القديمة و تمتد موازية لساحل البحر المتوسط من أقصى الغرب حتى تونس الحالية في الشرق، وهي جبال ذات طبيعة صعبة وترتفع بدرجات متفاوتة، وهي كثيرة الأودية الأمر الذي مكن السكان من عمل المدرجات والقيام بزراعتها في المناطق التي تسقط عليها الأمطار، وهو ما يؤكده استرابون في قوله: "أما الجبل الممتد وسط مافروسيا من الكوتيس حتى السرتين فهو مسكون بالإضافة إلى جبال أخرى موازية لها (لمافروسيا)" [21].

وعرفت جبال أطلس بأكثر من تسمية، فهناك أطلس العظمى التي تسير موازية للساحل وتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، حتى تونس الحالية، أما أطلس الجنوبية فهي أكثر ارتفاعا وصعوبة وتمتد هذه السلسلة مخترقة الجزائر الحالية وتعرف هناك بأطلس الصحراوية، وعند وصولها إلى تونس الحالية تسمى جبال أطلس التل، وتتمثل في ليبيا القديمة جميع مظاهر السطح، فهناك إلى جانب الجبال الهضاب والأنهار، يقول استرابون : "بين أرض الغايتوليين وشاطئنا سهول كثيرة وجبال عديدة وبحيرات كبيرة وأنهار بعضها يجري تحت الأرض ويصبح غير منظور"[22] وغالبا ما تكون السهول محصورة بين سلاسل الجبال وحول مجاري الأنهار وهذه الأجزاء صالحة للزراعة وقد ساهمت في فترات مختلفة في سد حاجة روما من الحبوب .

كما تتوافر في هذه الأقاليم المراعي الغنية الصالحة لتربية الحيوانات مثل البقر والخيول، وبالرغم من قلة سقوط الأمطار في بعض المناطق الداخلية إلا أنه أمكن التغلب على هذه الظاهرة بواسطة إقامة السدود وبناء صهاريج وخزانات لحفظ المياه، وقد أثبتت دراسة على بعض الوديان أن المنطقة كانت مأهولة بالسكان، وأنهم كانوا يحترفون الزراعة منذ وقت مبكر، على أنه قد حدثت تغيرات في أعقاب الاحتلال الروماني للمنطقة، وتمثل هذا التغيّر في مزاولة السكان للنشاط الزراعي المكثف، وذلك من أجل تغطية الأسواق الرومانية، وهذا ترتب عليه تغيير كبير ومهم في أشكال الاستيطان واستغلال الأراضي، ويلاحظ هذا من خلال وجود منشآت معمارية على ضفاف الأودية، ووجود معاصر للخمور والزيوت في المنطقة، وهذه اعتمد فيها على مياه الأمطار التي يتم التحكم فيها بواسطة سدود تعويقية، بحيث تنساب المياه إلى الأراضي المخصصة للزراعة[23]، ومن عقد أطلس العظمى هذه وفي الشمال الشرقي

تتفرع مجموعتان كبيرتان من السلاسل الجبلية هي أطلس البحرية أو المجموعة الشمالية، وأطلس الصحراء أو المجموعة الجنوبية وتحصران بينهما هضبة الشطوط، وهي شبه مغلقة ولذلك لا تستلم إلا قدرا بسيطا من الأمطار، وإلى الجنوب من سلاسل أطلس تمتد مجموعة من المنخفضات الداخلية التي هبطت كرد فعل لتكوين هذه السلاسل العظيمة[24].

كما تتخلل جبال أطلس التل هضبة تمتد من شرق نهر ملوية، وهو الذي يفصل بين إقليم الموري ونوميديا[25]، ويبلغ ارتفاعها ما يقارب (400م)، وهناك هضبة تلمسان التي يصل ارتفاعها إلى (300م)، وهي تشرف على المنحدر الذي أطلق عليه في الفترة الرومانية اسم بوماريا POMARIA، أي: البساتين وهذا يدل على وجود مساحات واسعة وكبيرة مزروعة بالأشجار المثمرة[26].

وإلى الشرق من الجنوب التونسي تمتد سلسلة جبلية تعرف اليوم بسلسلة جبل نفوسة ، وتمتد في نطاق طوله حوالى (500كم)، ما بين الجنوب التونسي اليوم وحتى مدينة الخمس على ساحل البحر المتوسط، ويرتفع هذا النطاق الجبلي ارتفاعا فجائيا إلى الجنوب من سهل الجفارة، أما جوانبه الجنوبية فتنحدر انحدارا تدريجيا حتى تنتهي في منطقة القبلة، التي تفصل هذه الجوانب عن المنحدرات الشمالية للحمادة الحمراء[27]، وتشكل الصحراء القسم الجنوبي من ليبيا القديمة، ويذكر هيرودوت: "أن الشريط الرملي يصل إلى أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق)، وأن به أناس يسكنون على مسافات متباعدة[28] وداخل ليبيا تكون الأرض صحراء و جافة وخالية من الوحوش وغير مطيرة ولا غابات فيها ولا توجد أية رطوبة[29]"، ولابد انه كان يقصد المناطق الانتقالية بين المناطق الشمالية وداخل ليبيا القديمة حيث تكون المناطق الداخلية صحراء جافة وغير مطيرة.

مناخ ليبيا القديمة:

أثبتت الدراسات أن مناخ ليبيا في العصور القديمة لا يختلف كثيرا عن مناخها اليوم، وأن الأمطار تسقط على المناطق بفضل الرياح الشمالية الغربية التي تهب على الساحل وتقل كلما اتجهنا نحو الداخل"[30].

كما أن كل الكتابات أثبتت أن شمال إفريقيا يتمتع منذ فترة طويلة بمناخ معتدل، وتأثر هذا المناخ بالقرب من البحر المتوسط والمحيط الأطلسي وامتداد الساحل، وكذلك تتنوع الارتفاعات، وهذا أدى إلى قلة الفروق بين درجات الحرارة الدنيا والعليا، ليلا ونهارا وأدى هبوب الرياح الشمالية والشمالية الغربية على المنطقة التي تمر على

مسطحات بحرية واسعة وتحمل ببخار الماء إلى سقوط الأمطار مع بداية النصف الثاني من الخريف وفصل الشتاء وبداية الربيع، وأدى ارتفاع الجبال إلى تكوين الثلوج على القمم المرتفعة التي تذوب في نهاية الربيع، وهذه الظاهرة هي التي تسبب جريان الأنهار في المنطقة الشمالية في فصل الصيف، وتتميز أمطار شمال إفريقيا بعدم الانتظام من حيث كميات المطر الساقطة وفي مواعيد سقوطها[31].

ويلاحظ أن للموقع والتضاريس أثرهما في كميات الأمطار التي تصيب المنطقة، كما أن لها الأثر في تحديد مواعيد سقوطها وتنظيمها حيث تقل كمية الأمطار الساقطة كلما اتجهنا من الساحل نحو الداخل غير أن هناك خروج عن القاعدة فعندما تصادف الرياح الجبال العالية والهضاب المرتفعة تأخذ الأمطار في الزيادة، وحين تكون سفوح المرتفعات مواجهة للرياح فإنه يصيبها قسط أوفر من المطر و تكون المناطق الواقعة خلفها مناطق قليلة الأمطار، وتسمى منطقة ظل المطر[32]، ويلاحظ من خلال دراسة مناخ ليبيا القديمة أن السواحل والمناطق المجاورة لها كانت تتمتع بمناخ معتدل لا يختلف كثيرا عن المناخ السائد في المنطقة في الوقت الحاضر .

أما المنطقة الصحراوية فكانت أقل أمطار في المناطق الانتقالية، وتوجد بها المراعي الفقيرة والإستبس، وتقل هذه المراعي كلما تعمقنا نحو الداخل حيث تنعدم الأمطار وتتحول الأراضي إلى صحراء قاحلة، ومن المحتمل أن الصحراء كانت أقل جفافا من الوقت الحاضر على أيام القرطاجيين والرومان بدليل وجود أنواع عديدة من الحيوانات وعلى سبيل المثال الفيل الإفريقي وهو نفس الفيل الذي يكثر وجوده في أواسط إفريقيا في الوقت الحاضر[33]،

وتؤكد الكتابات القديمة وجوده في المناطق الخلفية للإقليم الساحلي كما أن انقراضه لم يتم إلا في الفترة الأولى من ظهور المسيحية، حيث كان الرومان يمعنون في صيده بعد أن عرفوا استخدامه من قبل القائد الإسكندر في حملته على الشرق، ويؤكد بوفيل أن آخر موطن للفيلة في شمال إفريقيا كان أطلس العليا[34]، وتتعرض المناطق الصحراوية على الرغم من جفافها الشديد لسقوط أمطار فجائية تأتي في فترات متباعدة مع صواعق من الرعد، ويكون سقوطها غالبا بغزارة شديدة فتمتلئ بها الأودية ويترتب عليها أحيانا فيضانات خطيرة في مناطق الواحات[35].

القبائل الليبية القديمة:

في الكتاب الرابع أمدنا هيرودوت HERODOTUS بمعلومات هامة عن القبائل الليبية التي استقرت في ليبيا القديمة، وقد شملت هذه المعلومات أسماء تلك القبائل

وعاداتها وأماكن تواجدها، وقد جعل هيرودوت بحيرة تريتونيس حدا فاصلا بين مجوعتين من القبائل الليبية، مجموعة إلى الشرق منها وتتألف من بدو رعاة، ومجموعة إلى الغرب من هذه البحيرة، وتتألف من مجموعات ألفت حياة الاستقرار وكانوا يتخذون من الزراعة حرفة لهم واستقروا في مزارعهم وكان أساس التفرقة عنده قائما على اختلاف حياة كل منهم على الآخر وليس على اختلاف الجنس[36]، وأولى تلك القبائل التي حدثنا عنها هي قبيلة الأدورما خيداي وهذه هي أقرب قبيلة إلى مصر وقد اقتبست عاداتها من المصريين غير أن ملبسها يماثل ملبس القبائل الليبية الأخرى ويمتد موطنها من مصر حتى المرفأ المسمى (بلونوس) [37] سيدي البراني، وتلي هذه القبيلة قبيلة الجيلغاماي وهي تقطن الإقليم الواقع إلى الغرب حتى جزيرة (إفرودسياس) كرسه، وهي تماثل القبائل الليبية الأخرى في عاداتها[38]، تأتي بعدها قبيلة الأسبوستاي، وهي تقطن إلى الداخل وراء قورينا ولا يصل موطنها ساحل البحر، وهم يستخدمون عربات ذات أربعة جياد وقد دأبوا على تقليد أغلب عادات القورينيينا[39] ، ويلي هذه القبيلة الأوسخيساي، ويلاصق موطنها ساحل البحر عند(يوسبريدس) [40]، ويليها غربا قبيلة التسامونيس، وهم في الصيف يتركون قطعانهم بجانب البحر، ويذهبون إلى واحة أوجلة لجني التمور من أشجار النخيل التي تنمو هناك بكثرة عظيمة[41] وتعد واحة أوجلة مركزاً هاما للتساموبس نظرا لأهميتها الاقتصادية حيث يكثر بها النخيل الذي ينتج التمر وهو غذاء رئيسي وأساسي لأفراد تلك القبيلة، وهي أيضاً أحد المراكز الدينية لعبادة الإله آمون وهم يصيدون الجراد ثم يجففونه في الشمس ثم يقومون بطحنه ويخلطونه مع الحليب ويشربونه[42]وعلى حدود هذه القبيلة تقع مواطن البسولوي، ويذكر هيرودوت :"إن أفراد هذه القبيلة قد أفنوا عندما توغلوا في الصحراء لمطاردة رياح جنوبية عاتية جففت آبارهم واقتلعت بيوتهم وذلك كي ينتقموا منها[43].

وفي تقدير الباحث أن فناء هذه القبيلة ربما يكون نتيجة لإغارة قبائل النسامونيس التي قضت عليهم واستولت على مضاربهم، وربما حدث هذا نتيجة لنقص المراعي، أو أن الآبار لم تعد كافية لسد حاجاتها من المياه، وفيما يلي هؤلاء إلى الداخل صوب الجنوب يقطن القرامانتس في أرض الوحوش الضارية، وهم يتحاشون رؤية الناس وصحبتهم ولا يملكون أسلحة الحرب، كما لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم[44]، تأتي بعد ذلك قبائل المكاي وتقيم إلى الداخل من موطن الناسامونيس وهو الذي يجاور ساحل البحر غرباً، وتمتد منازلهم حتى نهر كينوبس الذي يصب في بحرهم بعد أن يجتاز موطنهم قادما من تل الحسان[45] .

ومعروفا عن هذه القبيلة أنها شاركت إلى جانب القرطاجيين في تدمير المستعمرة الإغريقية التي أقامها دوريوس ابن ملك إسبرطة في وادي كعام بعد أعوام قليلة من تأسيسها، ويبدو أن هذه القبيلة كانت تتواجد في المنطقة الممتدة من جنوب الساحل إلى الجبل ومنطقة ما دون الصحراء[46]، يليها من جهة الغرب قبيلة الجيندائس[47]، ومن موطنها يبرز في البحر رأس يعيش عليه (أكلة اللوتس) وهو غذائهم الوحيد، وحجم ثمرة اللوتس بحجم ثمرة التوت البري، وحلاوة مذاقها مثل حلاوة مذاق الرطب، وأكلة اللوتس لا يأكلونه فقط بل يتخذون منه نبيذهم[48] .

وقد اختلفت المصادر القديمة في تحديد موطنها وقد ذكر استرابون أنهم يعيشون في جزيرة جربة، ووصف هيرودوت أرضهم بأنها تقع على لسان ضيق من الأرض وهو الوصف الذي عرفت به جرجيس قرب جربة، ومع أنه في العصر الروماني لا يتوفر ما يدل على أهمية هذه القبيلة، إلا أن المصادر المتأخرة. كانت تطلق هذا الاسم "اللوتوفاجي' " على أي مجموعه تعيش بالقرب من المكان الذي يوجد فيه نبات اللوتس، وربما يرجع اختلاف المصادر التاريخية في تحديد مواطن هذه القبيلة إلى اندماج السكان في عنصر واحد هو الليبي فينيقي، وذلك بعد تحول المراكز التجارية الفينيقية إلى مدن كبيرة ، حيث تم دمج واستيعاب العديد من القبائل الليبية في المناطق الساحلية[49] ؛ يليهم على امتداد الساحل موطن الماخلويس وهم يستعملون اللوتس ولكن على نطاق أضيق، ويمتد موطنهم حتى نهر كبير يدعى ' تريتون "ويصب في بحيرة ' تريتونيس"[50], ويلي موطن الماخلويس موطن الأوسيس ، ويفصل نهر تريتون بين هاتين القبيلتين ويطيل أفرادهما شعر رؤوسهم، غير ان الماخلويس يرسلونه إلى الخلف بينما يسدله الأوسيس إلى الأمام وهم يقيمون حفلاً سنويا للربة المحلية التي ندعوها "أثينا"[51] ثم ذكر بعد ذلك "الأمونيين" [52] اللذين يعتنقون عبادة الإله أمون (زيوس عند الإغريق) [53] وعلى بعد عشرة أيام أخرى من الأمونيين على امتداد الشريط الرملي توجد واحة أوجلة، التي يعيش فيها الأهالي ، ومن عادة النسامونيس أن يأتوا إليها ليجمعوا ثمار النخيل[54]، وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة ووسط ينابيع مياه وأشجار نخيل كثيرة محملة بالتمر، يعيش قوم آخرون كثيرو العدد يدعون الجرمنتس، وهم يزرعون التربة التي يبسطونها فوق الملح .

ومن موطن الجرامنتس تبدأ أقصر طريق إلي موطن أكلة اللوتس، وعند الجرامنتس توجد الثيران التي تدعي القهقري والسبب أن قرونها منحنية إلي الأمام ويمضي هؤلاء الجرامنس في عرباتهم ذات الخيول الأربعة يطاردون الإثيوبيين سكان

الكهوف[55] وكانت قبائل الجرامنتس من أشد وأقوى القبائل الليبية في الصحراء، وفي ظل انعدام الحواجز الطبيعية التي تفصل بين الليبيين الرعاة وغيرهم من الذين ألفوا حياة الزراعة والاستقرار ، كانت هناك بعض العلاقات بين سكان الصحراء وسكان الساحل ، وعلى ما يبدو أن هذه العلاقات لم تكن دائما ذات طابع هجومي، بل كان يتخللها فترات من الهدوء يكون فيها تبادل المنافع هو السائد بينهم.

ويرى بعض المؤرخين أن قبائل الجرامنتس كانت الوسلية لوصول العديد من السلع التي تأتي من المناطق الجنوبية، والتي من أهمها العاج وجلود الحيوانات والأحجار الثمينة ، مثل الحجر القرطاجي اوقد أطلق عليه هذا الاسم؛ لأنه كان يتم تسويقه في الأسواق الخارجية، عن طريق تجارة قرطاجة، حيث إن الفينيقيين في الفترات المبكرة من استقرارهم على الساحل الليبي لم يتوغلوا إلى قلب الصحراء لجلب ما فيها من سلع، بل كانوا يحصلون على تلك السلع عن طريق الجرامنتس، ولكن في عصر قرطاجة حاولوا اكتشاف الطرق المؤدية إلى أواسط ليبيا والوصول إلي مصادر هذه السلع دون مساعدة تلك القبائل[56]؛ وبعد عشرة أيام أخرى من موطن الجرامنتس، يوجد تل ملح وماء، ويدعى القوم الذين يقطنون هناك بالأترانتس وهم القوم الوحيدون الذين لا أسماء لهم وهم يسبون الشمس عندما تكون في كبد السماء؛ لأن أشعتها المحرقة تؤذي أرضهم .

وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى يوجد تل ملح آخر وماء وقوم يعيشون هناك، ويوجد بالقرب من هذا الملح جبل يسمى " أطلس " وهو يبلغ من العلو حدا لا ترى العين قمته؛ لأن السحاب يغطيها صيفا وشتاء وقد اكتسب هؤلاء اسمهم "إطلنتس " من هذا الجبل، وهم لا يأكلون كائنا حيا[57] .

ويؤكد هيرودوت أن الليبيين شرق بحيرة تريتونيس بدوا رعاة يأكلون اللحم ويشربون اللبن[58] لكن الليبيين غرب تلك البحيرة ليسوا بدوا رعاة ولا يمارسون العادات نفسها[59]، وإلى الغرب من نهر تريتون يبدأ موطن الماكسوس وهؤلاء يفلحون الأرض ويقتنون البيوت، وبلادهم وبقية الجزء الغربي من ليبيا أكثر وحوشا وأحراشا من بلاد البدو الرعاة؛ لأن الجزء الشرقي من ليبيا الذي يسكنه البدو الرعاة منخفض ورملي حتى نهر تريتون، أما البلاد التي تقع غربي هذا النهر حيث يعيش زارعو الأرض فجبلية للغاية وملأى بالأحراش والحيوانات الضارية[60]،ويلي مواطن الماكسوس موطن الزاوكس، وهم الذين تقود نساؤهم عرباتهم إلى الحرب[61] ، يليهم

موطن الغوزانتس حيث يصنع النحل عسلا كثيرا، والصناع المهرة أكثر من ذلك، وهم يأكلون لحوم القردة؛ لأنها تتوفر بكثرة في جبالهم[62].

ويخلص هيرودوت إلى أن هؤلاء هم كل الليبيين الذين نستطيع تسميتهم ويضيف أنه تعيش هنا "على أرض ليبيا" أربع أمم اثنتان منهم أصليتان واثنتان غير أصليتين فالليبيون في الشمال والإثيوبيين في الجنوب أصليون، أما الفينيقيون والإغريق فإنهم استقروا في ليبيا فيما بعد[63].

وفي فترة تاريخية لاحقة لعصر هيرودوت أمدنا سكيلاكس في حوالي عام 320ق.م بمعلومات عن القبائل الليبية في العصر البطلمي [64]وكانت على النحو الآتي :

1- الأدروماخيداي، وموطنهم فيما يلي مصر غربا حتي مدينة إيبيس إلى الشرق من السلوم، ولاتزال الصفة المصرية غالبة عليها.

2- المارماريداي، ويقع موطنهم إلى الغرب من المدينة السابقة، وتنتشر في إقليم قورينائية؛ حتى تقترب مواطنهم من خليج سرت.

3- التسامونيس، وموطنهم شرق خليج سرت الكبير في الجنوب الغربي من إقليم قورينائية "المدن الخمس"، ويمتد حتى مذبح الأخوين فلايني .

4- المكاي، ومواطنهم يقع إلى الغرب من مواطن النسامونيس ويمتد حتى نهر كينبس.

5- أكلة اللوتس، مواطنهم من نهر كينبس إلي جرجيس المواجهة لجزيرة جربة.

أما استرابونStrabon من (1966ق.م) فقد ذكر نفس القبائل مع إهمال بعضها. مثل الجيليجاي و الأوسخيساي والباكليس، مع ملاحظة ظهور أسماء جديدة مثل : الليبيون الفينيقيون و الجيتوليين، وسنقتصر على عرض جدول[65] بأسماء القبائل كما وردت عند كل من هيرودوت ، وسكيلاكس و استرابون، وهو على النحو الآتي:

هيرودوت	سكيلاكس	استرابون
الأدور ماخيداي	الأدور ماخيداي	الأدور ماخيداي
الجيلجاماي الأسبوستاي	الاسبوستاي	
الليبيون الهيسبير اتاي		
المار مار يداي	المار مار يداي	الأوسخسياي
البكاليس	البسولوي	النسامونيس
النسامونيس	الماكاي	

البسولوي
الماكاي
الليبيون الفنيقيون

أكلة اللوتس	أكلة اللوتس	أكلة اللوتس
الجلمقازانتيس		الجيتوليون
		الجرامنتس

ونلاحظ التباين بين هذه المصادر التاريخية في تحديد مواطن القبائل الليبية ؛ وإغفال ذكر بعض منها ؛ وخلط مواطن إقامتها ؛ وفي تقدير الباحث أن هذا أمر طبيعي إذا وضعنا في الاعتبار التفاوت الزمني بين تلك المصادر، كذلك الحروب والنزاعات التي كانت تقوم بين أفراد هذه القبائل، وطبيعة معيشتها وحالة الترحال الشبه الدائمة لبعضها بحثا عن الماء والكلأ، وكذلك اندماج بعض القبائل في مجموعات قبلية أكبر، خصوصا على الساحل الذي أدى إلى ظهور مجموعات قبلية جديدة مثل العنصر الليبيي الفينيقي.

الهوامـــــــــــــش :

1- علي فهمي خشيم، بحثا عن فرعون عربي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1985،ص38.
2- محمد علي عيسى ، أسم ليبيا ودلالاته وظهور الليبيين علي مسرح التاريخ ، مجلة تراث الشعب ، العدد 201 ، مسلسل44-45،ص89 .
3-نفس المرجع و الصفحة .
3- محمد مصطفى بأزمة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية ، مكتبة قورينا، بنغازي، د.ت،ص86.
4- نفس المرجع السابق ، ص87.
5- علي فهمي خشيم، نصوص ليبية ، منشورات مكتبة الفكر، طرابلس، 1967، ص25.
6- Hrodotus,History,(L.C.L), Translated by Godley, A.D,LONDON, 1957 ,IV ,42.
7- عبد العزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، الطبعة الثالثة ، مركز الإسكندرية للكتاب، الاسكندري ، 1966، ص2.
8- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز الجهاد الليبي للدراسات التاريخية ، طرابلس، 2001 ، ص21.
9- Starbon, The Geography of Strabon , (L.C.L), Translated by Horace Leonard J ,LONDON,1960,XVIII,13
10- Starbon,XVIII,18
11- Starbon,XVIII,2
12- Starbon , XVIII,XX.
13- علي فهمي خشيم، نصوص ليبية ،مرجع سابق ،ص25.
14- Hrodotus,IV,185.
15- عبد المنعم الشرقاوي ، محمد محمود الصياد ، ملامح الغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1959 ، ص23.
16- مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر القديم والحديث ، الجزء الأول ، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ، 2004 ، ص257.
17- بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ت. الهادي أبو لقمة ، محمد عزيز ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1988 ، ص37.
18- بوفيل ، مرجع سابق ، ص71.
19- Gsell , Histoire Ancien del Afrique du Nord , tom 1 , (Paris 1972) , p3.
20- Starbon , XVIII,II.
21- سعيد علي حامد ، مشروع مسح الاودية ، المسح الأثري في الوطن العربي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس ، 1993 ، ص177.
22- محمد إبراهيم حسن ، دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي ، منشورات الجامعة الليبية ، بنغازي، 1972، ص8.
23- Starbon , XVIII,III,6.
24- Gsell,S,P,OP,cit,I,P8.
25- عبد العزيز طريح شرف ، جغرافية ليبيا ، مرجع سابق ، ص47.
26- Hrodotus,IV,185.
27- نفس المرجع والفقرة .

28- Gsell, S,OP,I,P5
29- محمد عبد المنعم الشرقاوي، محمود سعد العباد ، مناخ المغرب العربي ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1959، ص33.
30- محمد إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص9.
31- فوزي مكاوي ، الفيل ودوره في الحروب القديمة ، مجلة معهد البحوث والدراسات الافريقية ، العدد السادس ، القاهرة ، 1977 ، ص212.
32- بوفيل ، مرجع سابق ، ص 34-35.
33- عبد العزيز طريح شرف ، مرجع سابق ، ص127.
34- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية ، بنغازي، 1966، ص1.
35- Hrodotus,IV,168
36- Hrodotus,IV,169
37- Hrodotus,IV,170
38- Hrodotus,IV,171
39- Hrodotus,IV,172
40- عبد الكريم فضل الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مرجع سابق ، ص84-74.
41- Hrodotus,IV,173
42- Hrodotus,IV,174
43- Hrodotus,IV,175
44- عبد الكريم فضل الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مرجع سابق ، ص47-48.
45- Hrodotus,IV,176
46- Hrodotus,IV,177
47- عبد الكريم فضل الميار،الحضارة الفينيقية في ليبيا ، مرجع سابق ، ص54.
48- Hrodotus,IV,178
49- Hrodotus,IV,180
50- Hrodotus,IV,181
51- مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، مرجع سابق، ص51.
52- Hrodotus,IV,182
53- Hrodotus,IV,183
54- مصطفى كمال عبد العليم ، مرجع سابق ، ص65.
55- Hrodotus,IV,184
56- Hrodotus,IV,186
57- Hrodotus,IV,187
58- Hrodotus,IV,191
59- Hrodotus,IV,193
60- Hrodotus,IV,194
61- Hrodotus,IV,193.
62- Hrodotus,IV,194.
63- Herodotus,iv197
64- مصطفى كمال عبد العليم ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، مرجع سابق، ص51.
65- نفس المرجع ، ص79.